كتاب البدء والتاريخ

للمطهر بن طاهر المقدسي

الجزء الاول

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي: ٥٢٦ شارع بورسعيد القاهرة

تليفون ٩٣٦٢٧٧ / ٩٢٢٦٢٠

كِتَابُ
ٱلْبَدْءِ وَٱلتَّأْرِيخِ

ٱلْجُزْءُ ٱلْأَوَّلُ

كِتَابُ ٱلْبَدْء وَٱلتَّأْرِيخِ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الحول والقوّة

[F° 1 v°] تسلّقَ الزائغون عن المحجّة فى التلبيس على الضعفآء وتعلّق المنحرفون عن نهج الحقّ فى افساد عقيدة الاغبيآء من طريق مبادى الخلق ومبانيه وما اليه معادُه ومآله تعلقًا به ينبّهون غِرّة الغافل ويُحيرون فطنة العاقل وذلك من انكى مكايدهم للدين واثخن لبلوغهم فى انتقاض الموحّدين وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ[1] ويُعلى كلمته ويفلج حجّته وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ[1] وانّ من عظيم الآفة على عوامّ الأُمّة تصدّيهم لمناظرة مَنْ ناظرهم بما تخيّل فى اوهامهم وانتصب فى نفوسهم من غير ارتياض بطرق العلم ولا معرفة باوضاع

[1] *Qor.*, sour. IX, v. 32.

القول ولا تحكّك بادب الجدل ولا بصيرة بحقائق الكلام ثم القاؤهم بايديهم عند اوّل صاكّة تصكّ أفهامهم وقارعة تقرع أسماعهم ضَرِعين خاشعين مُستَنْجدين مُستقلّين الى ما لاح لهم بلا اجالة رويّة ولا تتعير(؟) عن خبيئة وعلى اهل الطَرَف والشَرَف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر المستفيض والايجاب بغوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة وان كانت ناحلة المعانى نحيفة المغانى ضعيفة الضمائر واهية القواعد فقُصارَى نظرهم الاستخفاف بالشرائع والأديان التى هى وثاق الله تعالى فى سياسة خلقه وملاك امره ونظام الألفة بين عباده وقوام معاشهم والمنبّه على معادهم الرادع لهم عن التباغى والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل ومحمود ثواب الآجل فتعرّض الى ما هو منهىّ عنه فى حكمة العقل التعرض له من الاستهداف بقدح القادح واستدعآء مقت الماقت والسعى فى افساد ذات البين والاستشراف للفتنة وتلبيس الحق على الضَعَفَة واكثر ما يَعترى هذه البليّة طبقة اهل اللسان والبيان يظنون ظنونًا كاذبةً ويسمّون بهمم قاصرة

الى حيث يحجم همه البارز النقّاب عن التطلّع الى أدناه ويحقّ ما ذكره العُتبي فى كتابه وان كان دخيلا فى صناعته متكلّفًا ما ليس من بزّته حيث قال فى صفة هذه الطبقة قد رضى من الله ومن عباده عوضًا ان يقال فلان دقيق وفلان لطيف يذهب إلى انّ لطف النظر قد اخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغُثاء والغُثْر وهو لعمر اللّه بهذه الصفات أولى وهى به أليق فى اخوات لهذه كثيرة ويا لها من فضيحة اذا اخذت الحجة يكظم احدهم واسبل الحقّ جناحه عليه بقى مبهوتًا منقطعًا قد خانته معرفته وكذّبته أمنيته وبدت عورته وظهرت حيرته وصار ضُحْكَةً للناظرين ومثلًا سائرًا فى السامعين بعد أن كان يظنّ ضحكة لفضل علم او بيان وكفى ذُلًّا وحُزنًا ودناءةً ونقصًا لراضٍ بهذه المنزلة ومعترّ بتفريط السفلة مقبلا على لحمه وعظمه مضيّعًا أيّام أدَبه وعِلمه ومن كانت هذه حاله فحقّ له النكال والنكير فى العاجل مع ما يبوء به من ناهض الاثم وعظيم الإصر فى الآجل ومن اعظم ذلك على ارباب القلانس وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لأنفسهم ولكن

للتصدّر والتقدّم فهم يأخذونه من غير مظانّه ويترشحون له
[f° 2 r°] بلاد واعية مقدّماته مستحلبين أفئدة العامّة بإطرآء
مذاهبهم مُفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب العجائب
التى روَوْها مستأكلة القُصّاص عن أحدوثةٍ فى العقل
مردودة واعجوبة عن الفهم محجوبة حتى شحنوا صدورهم
بتُرّهات الأباطيل وضيّعوا نفوسهم بالأسمار والأساطير فَهُمْ الى
كلّ ناعقٍ سِراع وعن كلّ ذى حقٍّ بطآء وللتّبع متعرضون
وعن الواجب مُعرضون المحق فيهم مبطل والمُدقّ مُلحد والمخالف
لهم مقهور والنّاظر مهجور والحديث لهم عن جملٍ طارَ اشهى
اليهم من الحديث عن جمل سارَ ورؤيا مَرِيّة آثر عندهم من
روايةٍ مرويّة فهذه الخُطّة كانت سبب حرمان العلم
وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخِذلان والتوسيع للطاعن
فى اللين وتسهيل القادحين بالصَخَب والشَغْب والشُنعة وردّ
العيان وجحد البرهان ويأبى العلم ان يضع كَنَفه او يخفض
جناحه او يُسفر عن وجهٍ إلّا لمتجرّد له بكلّيته ومتوفّر عليه
بأينيته[1] مُعانٍ بالقريحة الثاقبة[2] والرويّة الصافية من

[1] Ms. بأنيته. [2] Ms. الباقبه.

يـــه التأييد والتسديد قد شمّر ذيله واسهر ليله حليف النصب ضجيع التعب يـأخذ مـأخَذه متـدرّجًا ويتلقّـاه متطرّفًـا لا يظلم العلم بالتعسّف والاقتحام ولايخبط فيـه خبط العشواء فى الظلام ومع هجران عادة الشرّ والنزوع عن نزاع الطبع ومجانبـة الإلف ونبذ المحاكلـة واللجاجة واجالـة الراعى عن غموض الحقّ والتأتّى[1] بلطيف المأتى وتوفيقه النظر حتّه من التميز بين المشتبه والمتّضح والتفريق بين التمويـه والتحقيق والوقوف عند مبلـغ العقول فعنـد ذلـك إصابـةُ[2] المُراد ومصادفـةُ المرتاد وباللّـه التوفيق والرشاد، ولمّا نظر فلان اطال الله فى طاعته بَقَاه وبلغ من العلوم مُناه الى احوال هذه الطبقـة ومـا قـد يقسمهم من الهمم وتـوزّعهم من انواع النحـل وتَصنّح مذاهبَهم اشتاقت[3] نفسه الى تحصيل الأصحّ من مقالاتهم وتمييز الأصوب من اشاداتهم فـأمرنى لازال أمرُه عاليًا وجدّه صاعـدًا أنْ أجمع لـه كتابًا فى هذا الباب منحطًّا عن درجة العلو خارجًا عن حدّ التقصير مهذبًا من شوائب التزيُّـد مُصَفًّى عن سِقاط الفسالات[4]

[1] Ms. التـالى. [2] Ms. أصابـه.
[3] Ms. واشتاقت. [4] Ms. العسالات.

وخرافـات العجائز وتزاوير القُصّاص وموضوعات المتّهمين من المحدّثين رغبةً منه فى الخير الـذى طبعه الله عليه وامتعاظًا للحق ومناضلةً[1] عن الـدين واحتياطًا لـه وذبًّا عن بيضة الاسلام وردًا لكيد مُنـاويـه وارغامًا لانف فـاشخيـه[2] وتحرّزًا عن أن يُصيب الحَنَق الموتور يلـدغ ناره او يجلـد الطـاعن مطعنًا فتسارعتُ الى امتثال ما مثّل وارتسام ما رسم وتتبّعت صحاح الأسانيد ومتضمّنات التصانيف وجمعتُ ما وجدتُ فى ذكر مبتداء الخلـق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الأنبيـآء عليهم السلم وأخبار الأُمم والاجيال وتواريخ الملوك ذوى الاخطار من العرب والعجم وما رُوى من امر الخلفـاء من لـدُن قيام الساعـة الى زماننا هذا وهو سنـة ثلثمائـة وخمس وخمسين من هجرة نبيّنـا محمد صلعم وما حُكى أنـه واقـع بعدُ من الكـوائن والفتن والعجائب بين يـدى الساعة على نحو ما بُيّن وفُصّل فى الكتب المتقدّمة [f° 2 v°] والاخبار المورّخة من الخلق والخلائـق واديان اصنـاف الأُمم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض

[1] Ms. مناصلةً.

[2] Ms. فـاشحيه.

وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى فى الاسلام من المغازى والفتوح وغير ذلك ممّا يمرّ بك فى تفصيل الفصول وانّما نبهنا على ما أردنا قول الحكماء اوّل العمل آخر التفكر وذاك انّا لما جمعنا جمع ابتداء الخلق ثم لم نجد بُدًّا من تصحيح الحِجاج فى ايجاب ابتدآئه ولم يصحّ لنا تثبيت[1] ذلك الّا باثبات مُبديه سابقًا بخلقه ولا امكن اثباته الّا بعد بيان طرق التوصّل اليه فابتدانا بذكر ذَرْو من حدود النظر والجدل ثم ايجاب اثبات القديم المُبدئ المعيد ثمّ ابتداء الخلق ثمّ ما يتلو ذلك فصلًا فصلًا وبابًا بابًا حتّى اتينا على آخر ما كان الغرض والمقصود به، ولم يزل اهل الفضل والتحصيل من العلماء والعظماء والملوك فى قديم الزمان وحديثه يرغبون فى تخليد ذكرهم ويتنافسون فى ابقاء رسمهم ويحرصون ان يورثوا من بعدهم ما يؤثر عنهم من منقبة حميدة وحكمة بليغة ترغّبًا فى اقتناء الفضل واعتقاد الذخائر توخّيًا منهم لعموم نفع الخير وتحرّيًا لشمول الصلاح والرشد وذلك ثمرة الانسانيّة وغاية ما يؤمّله العقل وتطمح اليه النفس حتّى أن فيهم من

[1] Ms. شبت.

اقتحم الممالك آنفًا لذكر شجاعته ومنهم من خرق بمضنون النفائس ومنهم من تكلّف لطائف النوادر بالأثارة[1] والاستنباط ومنهم من رفع منارًا او بنى بناء او انبط ماءً كلٌّ يجرى على قدر الهمم والارادات لم يوجد واحد منهم خاليًا عن خصلة من الخصال وان عميت الا بناء دونها فهذا الذى دعا فلانًا ادام الله تمكينه الى الاقتداء بهم والارتياح الى الاخذ بأخذهم والتأسى باسوتهم لما خصّه الله به من كريم الطبع وشرف الهمّة وبُعد الغور وبغية الصلاح وحُبّ الخير ثم ما يرجوه من حسن الثواب وكريم المآب بما عسى الله ان يبصّر به مستبصرًا او يُرشد مسترشدًا ويهدى ضالًّا ويردُّ غاويًا وقد وَسَمتُ هذا الكتاب بكتاب البدء والتاريخ وهو مشتمل على اثنين وعشرين فصلًا يجمع كلّ فصل ابوابًا واذكارًا من جنس ما يدلّ عليه،

الفصل الاوّل فى تثبيت النظر وتهذيب الجدل، وهو يجمع القول فى معنى العلم والجهل والقول على كمية العلوم ومراتبها واقسامها والقول فى العقل والمعقول والقول فى الحسّ والمحسوس

[1] Ms. بالاباره.

والقول فى درجات المعلومات والقول فى الحد والدليل والعلّة والمعارضة والقيـاس والنظر والاجتهاد والقول فى الفرق بين الدليل والعلّة والقول فى الحدود والقول فى الاضداد والقول فى حدث الاعراض والقول على أهل العنود[1] ومبطلى النظر والقـول فى مراتب النظر وحدوده والقـول فى عـلامـات الانقطـاع

[٣ 3 ٣] الفصل الثانى فى اثبات البـارى وتوحيد الصانـع، وهو يجمع الدلائل البرهانيّـة والحجج الاضطراريّـة والقول فى جواب من يقول ما هو ومن هو وكيف هو والقول بـأن البارى واحد وفرد لا غير والقول بابطال التشبيه،

الفصل الثالث فى صفات البارى واسمائـه، وهو يجمع القول فى الصفات والقول فى الأسامى وما يجوز أن يُوصَف بـه وما لا يجوز واختلاف الناس فيه،

الفصل الرابع فى تثبيت الرسالـة وايجاب النبوّة، وهو يجمع اختلاف الناس فيه وايجابـه بحجّة العقل والقول فى كيفيّـة الوحى والرسالـة على ما جاء فى الأخبار،

[1] Ms. المهود.

الفصل الخامس فى ذكر ابتدآء الخلق ، وهو يجمع ايجاب حدث الخلق وايجاب ابتدائه بالدلائل والحجج وقول القدماء فى ايجاب الخلق وابتدآئه وذكر حكايات أهل الاسلام عنهم وذكر مقالات الثنوية والحرّانية والمجوس وذكر مقالات اهل الكتاب فيه وذكر قول اهل الاسلام فى المبادى وذكر ترجيح أصوَب المذاهب وذكر ما خُلق فى العالم العُلوى من الروحانيّات وأوّل ما خُلق فى العالم السُفْلى من الجسمانيّات وسؤال السائل ممّ خُلق الخَلْق وفيمَ خُلق وكيفَ خُلق ومتى خُلق ولِمَ خُلق ،

الفصل السادس فى ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسىّ وحملة العرش والملائكة وصفاتها واختلاف الناس فيها والقول فى الملائكة أمكلّفون هُمْ أمْ مجبورون وانهم افضل من صالح وذكر ما جآء فى الحجب وما جآء فى سدرة المنتهى وذكر الجنّة والنار وذكر صفة النار وذكر اختلاف الناس فى الجنة والنار وذكر صفة اهل النار وذكر اختلاف الناس فى بقآء الجنّة [والنار] وفنائهما وذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل وذكر الصراط والميزان والحوض والصور

[٣ ٧٥] والاعراف وغيرها ،

الفصل السابع فى خلق السمآء والأرض ، وهو يجمع صفة السموات وصفة الفلك وصفة ما فوق الفلك وصفة ما فى الأفلاك والسموات كما جاء فى الخبر وصفة الكواكب والنجوم وصفة صورة الشمس والقمر والنجوم وما بينهما واختلاف الناس فى اجرامها واشكالها وذكر طلوع الشمس والقمر وغروبهما وكسوفهما وانقضاض الكواكب وغير ذلك ممّا يعرض فى السمآء وذكر الرياح والسحاب والأنداء والرعد والبرق وغير ذلك ممّا يحدث فى الجوّ وذكر مقالة الشمس والقمر والكواكب والشُهبان وقروس قزح والزوبعة والزلازل وذكر الليل والنهار وذكر الارض وما فيها واختلافهم فى البحار والمياه والانهار والمدّ والجزر والجبال واختلافهم فيما تحت الارض وذكر قوله تعالى ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ والأرض وما بينهما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ[1] وذكر ما حكى فى المدة قبل خلق الخلق وذكر مدة الدنيا [قبل آدم عليه] السلام وذكر خلق الجنّ والشياطين وذكر ما وصفوا من عدد العوالم ،

[1] *Qor., passim*

الفصل الثامن فى ظهور آدم وانتشار ولده، وهو يجمع اختلاف الفلاسفة فى تأليف الحيوانات واختلاف المنجّمين وسائر الناس فى ذلك وذكر خلق آدم وذكر اختلاف أين خُلق آدم وذكر قولهم كيف نفخ الروح فى آدم وذكر سجود الملائكة لآدم وذكر قوله عزّ وجلّ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ[1] وذكر دخول آدم الجنّة وخروجه منها وذكر أخذ الذرّية من ظهر آدم وذكر اختلاف الناس فى آدم وقصّته وذكر صورة آدم وخبر وفاته وذكر الروح والنفس والحياة واختلاف الناس فيها وفى الحواسّ من القدماء وأهل الكتاب وما جاء فى القرآن من ذكرها وفى الاخبار ومناظرات الناس فيها،

الفصل التاسع فى ذكر الفتن والكوائن الى قيام الساعة وما ذُكر من امر الآخرة، وهو يجمع القول بوجوب فناء العالم وانتهائه وذكر قول مَنْ قال من القدماء بفناء العالم وذكر قول اهل الكتاب فى هذا الباب وذكر ما جاء فى مُدّة الدنيا وكم مضى منها وكم بقى منها وذكر التأريخ من لدن آدم الى يومنا هذا على ما وجدناه فى كتب اهل الاخبار وذكر ما بقى

[1] *Qor.*, sour. II, v. 29.

من العالم وكم مدّة [أمّة] محمّد صلعم [فيه]ما رواه أهل الأخبار وذكر ما جآء فى أشراط الساعة وعلاماتها وذكر الفتن [٤٣ ٤٠] والكوائن الى آخر الزمان وخروج التُرك والهَدّة فى رمضان والهاشمى الذى يخرج من خراسان مع الرايات السود وخروج السُفيانىّ وخروج القحطانى وخروج المهدى وفتح قسطنطينيّة وخروج الدجّال ونزول عيسى بن مريم عليه السلم وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابّة الأرض وذكر الدخان وخروج ياجوج وماجوج وخروج الحبشة وذكر فقدان الكعبة وذكر الريح التى تقبض أرواح أهل الإيمان وذكر ارتفاع القرآن وذكر النار التى تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر وذكر نفخات الصور الثلاث وذكر صفة الصور واختلاف اهل الكتاب فى صفة مَلَك الموت وذكر ما بين النفختين وذكر اختلافهم فى قوله تعالى إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ[1] وذكر المطرة التى تُنبت أجساد الموتى وذكر الحشر وذكر اختلاف الناس فى كيفيّة الحشر وذكر الموقف وذكر تبديل الأرض وذكر طىّ السمآء وذكر يوم

[1] *Qor.*, sour. VI, v. 128.

القيامة وذكر ما قيل ممّا هو كائن بعد ذلك وذكر ما حُكى عن القدماء فى خراب العالم وذكر ما يجب على المرء اعتقاده فى هذا الباب

الفصل العاشر فى ذكر الانبياء والرسل عليهم السلم ومدّة اعمارهم وقصص أممهم واخبارهم على نهاية الإيجاز والاختصار،

الفصل الحادى عشر فى ذكر ملوك العجم وما كان من مشهور ايّامهم الى مبعث نبيّنا محمّد صلعم،

الفصل الثانى عشر فى ذكر أديان اهل الارض ونحلهم ومذاهبهم وارآئهم من اهل الكتاب وغيرهم وهو يجمع ذكر المُعطّلة وذكر أصناف الهند وشرائعهم وملّلهم واهوائهم وذكر أهل الصين وذكر ما حكى من شرائع الترك وذكر شرائع الحرانيّين وذكر اديان الثنويّة وذكر عبدة الاوثان وذكر مذاهب المجوس وذكر مذاهب الخرميّة وذكر شرائع اهل الجاهليّة وذكر شرائع اليهود والنصارى،

الفصل الثالث عشر فى ذكر أقسام الارض ومبلغ أقاليمها، وهو يجمع ذكر الأقاليم السبعة وذكر المعروف من البحار

[1] Le ms. intercale ici البير (?)

والأودية والأنهار وذكر الممالك المعروفة من الهند وتبت وياجوج وماجوج والترك والروم وبربر والحبشة [٣٤٣] وذكر بلاد الإسلام من الحجاز والشام واليمن والمغرب والعراق والجزيرة والسواد وآذربيجان وارمينية والاهواز وفارس وكرمان وسجستان ومكران والجبل وخراسان وما وراء النهر وذكر المساجد والبقاع الفاضلة مثل مكة والعراق وذكر الثغور والرباطات وذكر ما حكى من عجائب الارض وعجائب اصناف الناس وذكر ما بلغنا من المدن والقرى ومن بناها وأنشاها وذكر ما جاء فى خراب البُلدان،

الفصل الرابع عشر فى أنساب العرب وأيامها المشهورة،

الفصل الخامس عشر فى مولد النبيّ ومنشاه ومبعثه الى هجرته صلعم،

الفصل السادس عشر فى ذكر مقدم رسول الله صلعم الى المدينة وعدد سراياه وغزواته الى يوم وفاته،

الفصل السابع عشر فى صفة خَلق رسول الله صلعم وخُلقه وسيرته وخصائصه وشرائعه ومدّة عمره وذكر أزواجه وأولاده وقراباته وخبر وفاته وذكر معجزاته،

الفصل الثامن عشر فى ذكر أفاضل الصحابة وأولى الأمر منهم، من المهاجرين والأنصار وذكر حُلاهم ومدّة أعمارهم وابتداء إسلامهم وذكر أولادهم ومن أعقب منهم ومن لم يُعقِب،

الفصل التاسع عشر فى اختلاف مقالات اهل الإسلام، وهو يجمع ذكر فرق الشيعة وفرق الخوارج وفرق المشبّهة وفرق المعتزلة وفرق المرجيّة وفرق الصوفيّة وفرق أصحاب الحديث رضهم،

الفصل العشرون فى مدّة خلافة الصحابة وما جرى فيها من الفتوح والحوادث الى زمن بنى أميّة وهو يجمع خلافة ابى بكر رضه وما كان فى أيّامه من الردّة والتنبّى والفتوح وخلافة عمر رضه وما كان فى ايّامه من الفتوح وخلافة عثمان وما كان فى ايّامه من الفتوح والفتن وخلافة على بن أبى طالب رضه وما كان فى أيّامه من الفتن وذكر الجمل وصِفّين والنهروان [٣٥٣] وخروج الخوارج عليه وذكر الحَكَمين وخلافة الحسن بن على رضهما إلى أن غلب معاوية على الأمر،

الفصل الحادى والعشرون فى ذكر ولاية بنى أميّة على الإيجاز والاختصار وما كان منها من الفتن من فتن ابن الزبير